أما الفصل الأول
من القسم الأول

فذلك فيما يجب تقديمه على الخوض فيما نحن بصدده وهو الكلام في اللفظ، أما اللفظ: فإنه من حيث هو هو غير ما هو موضوع بإزاء شيء ما، وغير ما هو موضوع بإزائه كذلك، والكلام في كل واحد من هذه الثلاثة غير الكلام فيما عداه منها.

فالأول: وهو اللفظ من حيث يجري مجرى الجنس بالنسبة إلى ما عداه من الموضوع الذي هو اللفظ المستعمل، ومن اللاموضوع الذي هو المهمل، وذلك يفتقر في التحقيق بأنه ما هو إلا تحقيق الطريق الموصل إليه، وهو طريق الاشتقاق، وهذا الطريق من الطرق المعتبرة في تداول الألفاظ أكمل الطرق وأتمها، وإنه على نوعين:

أحدهما - وهو الأصعب -: تبديل الحروف وتركيبها على حسب الإمكان، وذلك في الأول من حرفين، والتركيب منهما على ضربين من حيث أنه يمكن أن يقدم هذا على ذلك وبالعكس، كما في: المس والسم مثلاً.

وفي الثاني: من ثلاثة أحرف، والتركيب منها على ستة أضرب بحسب تقديم البعض منها على البعض أيضاً.

وفي الثالث: من أربعة أحرف، والتركيب منها على أربعة وعشرين ضرباً.

وفي الرابع: من خمسة أحرف، والتركيب منها على مائة وعشرين ضرباً، وعلى هذا في الخامس والسادس.

والضابط فيه أنك إذا عرفت عدد التركيب في الأدنى من هذه المراتب فاضرب الأعلى في ذلك العدد، إذ الخارج من الضرب هو المطلوب، مثاله: أن التعدد في الأدنى وهو الذي يتركب من الحرفين اثنان، والأعلى منه ثلاثة، فاضرب الثلاثة في الاثنين حتى يحصل منه ستة، وهي عدد التراكيب في الأعلى منه، وعلى هذا فيما هو الأعلى منه أيضاً.

والثاني من طرفي الاشتقاق: هو أن يشتق من الضرب مثلاً لفظ الماضي والمضارع وغير ذلك على ما علمته في علم الصرف، وهذا هو الأسهل بالنسبة إلى الأول، إذ ذاك في غاية الصعوبة وحجته نادرة، فإن أكثر التراكيب في الزوائد على ثلاثة:

مهمل: والمهمل منها ما لا يدل على شيء أصلاً بحسب الوضع، على خلاف المستعمل فإنه يدل على ما وضع بإزائه، لما أن الوضع يخصصه بذلك من حيث أنه اسم ذلك وذلك مسماه، وقد يعرض له من الصفات حينئذ إما لازمة مثل كونه اسماً للشيء ودالاً عليه، وإما غير لازمة مثل كونه دالاً عليه بطريق الحقيقة، ودالاً بطريق المجاز، وما يدل على الشيء منها فإنه يدل بحسب اللغة، وقد يدل بحسب الصيغة، وقد يدل بحسب المجموع، والمدلول في البعض منها غير ما هو المدلول في البعض الآخر لا محالة، يعرف بالتأمل.

ثم اللفظ يطلق على كل واحد من الأقسام المذكورة، فيقال: اللفظ من الألفاظ المهملة، وذلك من الألفاظ المستعملة، بخلاف الحروف والصوت فإنه لا يطلق عليهما إلا بطريق المجاز، وأما لفظ الكلمة فكما أنه يطلق على المستعمل فكذلك على المهمل عند الجمهور من أهل اللغة، فيقال: تكلم بكلام غير مفيد، ولا يصح أن يطلق على الحرف والصوت أصلاً، ثم الصوت غني عن التعريف لكونه محسوساً وكذلك الحرف، والحرف قد يعرف بأنه هيئة عارضة للصوت بها يتميز البعض من الأصوات عن البعض.